ولغيرها من القوى المحظور عليها ممارسة السياسة مجالاً للانغماس بين الجماهير، دون الحاجة الى تصريح قانوني لن تحصل عليه. وربما تدرك هذه الحركة وغيرها، ان موقفاً سلبياً من العمل المحلي ـ الى جوار الموقف السلبي من العمل البرلماني ـ سوف يكون بمثابة موقف للرفض العربي الذي لا معنى له، وقد يؤدي الى عزوف الرأي العام عنها، بينما هي بمشاركتها على الصعيد المحلي، وفي إطار ما هو ممكن ومتاح قانونياً، ترفع رسالة الى ذوي الشأن عن طبيعة قوتها الحقيقية، التي لا يريد الآخرون الاعتراف بها.

الفكر السياسي في بيئته الاجتماعية ـ الاقتصادية

يلحظ المتابع لمحتوى السياسة الاسرائيلية تجاه الواقع الاجتماعي الاقتصادي للعرب في اسرائيل، بما في ذلك الابعاد الفكرية الثقافية، أن القيادة الصهيونية المتنفّذة في اسرائيل، كانت على درجة عالية من الحيطة لأثر التغييرات الممكنة في هذا الواقع على الفكر والممارسة السياسية للأقلية العربية داخل اسرائيل، وأنها كانت تعلم جيداً ان تجليات الفكر السياسي لهذه الأقلية لن تجنح بعيداً عن حقائق هذا الواقع. ومن ثم، سعت هذه القيادة جهدها لتكييف الواقع الاجتماعي والاقتصادي للعرب في اسرائيل بحيث يلائم خيارات الدولة اليهودية، بغض النظر عن حجم الآلام التي سببتها هذه العملية للوسط العربي. لكن الشيء المدهش، ان متابعة موازية لمسار الفكر السياسي للعرب في اسرائيل أو تجلياته في الممارسة، تخرج بانطباع موازٍ آخر، هو ان العرب في اسرائيل كانوا، بدورهم، على وعي بما يعتمل على ساحتهم من ممارسات لنظام الغالبية الصهيونية الحاكم. وعلى سبيل المثال، يلاحظ ان السلطات الاسرائيلية عملت، دوماً، على تضييق مساحة الارض المتاحة للعرب، بأعمال المصادرة والنهب تحت مسميات مختلفة، حتى أنها قلصت معدل المساحة المتاحة للقرويين العرب من ١٩,٦ دونماً للفرد في العام ١٩٤٥ الى أقل من دونم واحد في العام ١٩٦٢[٤٦]. وهذه ولا شك سرعة قياسية في عملية الفصل الداخلي للمواطن عن «أمه» الارض، وهي عملية لا يقصد بها سوى تكريس يهودية الدولة. وفي المقابل، يلاحظ أن عرب الجليل لجأوا ـ ضمن آليات أخرى ـ الى إعاقة هذه العملية باصلاح الاراضي المهملة وغرسها زيتوناً، والبناء عليها بسرعة فائقة أيضاً، وذلك للتدليل على إعمارها وملكيتها، الامر الذي أدهش رئيس الوكالة اليهودية في أثناء جولة له، ذات مرة، في منطقة الجليل، بحيث علّق قائلاً بأن العرب يسعون الى إعاقة إجراءات الاستيطان والتهويد[٤٧]. إن اجراءاً من هذا القبيل، على بساطته، يقدّم مظهراً تطبيقياً لفكر سياسي بعيد الغور... فاذا كانت الارض العربية مهدّدة بفكر التهويد والاستيطان الصهيوني، بذريعة أنها مهملة، فان الاجراء المضاد والمعقول هو استصلاح الارض وغرسها زيتوناً ومساكن ومرافق. وعندئذٍ تكون فكرة الاستيطان العربي للحفاظ على الارض، الرد الطبيعي والعملي على فكرة استلاب الارض بالاستيطان اليهودي.

ان معظم السياسات الاسرائيلية الزاحفة نحو مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعرب في اسرائيل، والتي يتقدمها فيلق من القوانين متعدّدة الغرض، لا يمكن فصلها عن غاية اسرائيل العليا تجاههم، وهي تبديد هويتهم القومية وتسخيرهم للمجتمع الاسرائيلي الصهيوني. فهدف «دمج» العرب في جسد الدولة والمجتمع، لم يكن هدفاً لاسرائيل، اذا استثنينا النزر اليسير من القوى ذات الوزن الهامشي فيها[٤٨]. ومع ذلك، أثبتت الخبرة، ان مجالات السيطرة الاجتماعية والاقتصادية، ولجم الانطلاق الثقافي والتطوير الذاتي، أعطى مردوداً عكسياً، على طول الخط، في الفكر السياسي للعرب